خطا الحركة الوطنية في مواجهة الحرب الأهلية اللبنانية

الحلقة الرابعة

الطابع الطبقي للحرب الأهلية اللبنانية

بقلم : أبو عدنان

تتابع « الهدف » نشر موضوع دراسة « خطا الحركة الوطنية في مواجهة الحرب الاهلية اللبنانية » ، بعد ان حالت كثافة مواد العدد الماضي دون ذلك .

ان الحرب بما فيها الحرب الاهلية ، تتسم بطابع طبقي . وان اغفال هذا الموضوع او تجاهله ، يفسح المجال امام التزييف ، فضلا عن الغموض والابهام ، لذلك اهتمت الحلقة الاولى التي نشرت في العدد (٣٧٤) ، بتحديد طابع الحرب والحرب الاهلية الطبقي ، مما وفر للقراء الذين يتابعون حلقات هذه الدراسة ، مقياسا علميا يساعدهم على فهم طابع الحرب اللبنانية ويمكنهم من التمييز بين الحقيقة ونقيضها .

ان تحديد طابع الحرب الاهلية اللبنانية ، موضوع تختلف حوله وجهات النظر ، حتى ضمن معسكر القوى الوطنيه والتقدمية نفسها ، اذ هناك من يغلب دور العوامل الخارجية على دور العوامل الداخليه ، بالنسبه لتفجير الصراع في لبنان وصيرورته حربا اهليه ، بل وهناك من يغالي في الادعاء لدرجة ينكر معها اي دور للعوامل الداخلية ، ويطمس بذلك دور الجماهير الكادحة بما فيها الجماهير الفلسطينيه القاطنه في لبنان ، لذا فان البحث المفصل في تحديد المقدمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافيه والعسكريه ، والعوامل الطبقية والوطنية ، التي لعبت دورها في تفجير الصراع وتحويله الى حرب اهليه ، أمر بات يكتسب اهمية خاصة .

في هذه الحلقة نستكمل موضوع تحديد طابع الحرب الاهليه اللبنانية الذي تضمنته الحلقتان الثانية والثالثة اللتان نشرتا في العددين المرقمين « ٣٧٤ ، ٣٧٥ »

« الهدف »

عندما ينعت سليمان فرنجيه الحرب بأنها « حرب عدوانيه شرسة » فانه يزيف عن وعي وسبق اصرار الحقائق الموضوعيه ، دفاعا عن مصلحته الذاتيه ومصلحه الطبقات الرجعيه التي يمثلها ، ذلك انه يضع القوى الفاشيه في وضع الدفاع عن النفس ، لكي يضفي على موقفها صفة العدالة والشرعية .

ولكن عندما يصف ياسر عرفات الحرب الاهليه ، بـ « القذرة » وصفا مطلقا دون تحديد للتناقض في طابع الحرب ، وتمييز بين موقف الجماهير الشعبية اللبنانيه والفلسطينيه وقواها التقدميه والوطنيه ، وبين موقف الطبقات الرجعية عامه والفاشيه منها على وجه الخصوص ، فانه يعبر عن عدم وعي وجهل بالحقائق الموضوعيه ، لكونه يطمس جانب العداله والحق والشرعية في الحرب ويناقض نفسه ويبطل حقه في القول : اننا « نقاتل هجوما في فلسطين المحتله على الدوام ، ودفاعا خارجها اذا اقتضى الامر ، تلك هي قاعدة قتالنا العادل » (٧٦) ، فضلا عن تناقضه مع قوله الوارد برسالته ، بكون الحرب اللبنانية « حربا اهليه » ، اي انها صرع بين الطبقات .

ان الحرب الاهلية الناشبة في لبنان ، هي حرب عدوانية قذرة غير عادلة من جانب القوى الفاشيه وقوات الاحتلال السوريه ، ولكنها حرب وطنية عادلة ومشروعه من جانب الجماهير الشعبيه وقواها التقدميه والوطنيه اللبنانية والفلسطينية ، لذلك لا يصح وصف هذه الحرب من جانب التقدميين والوطنيين بالقذارة بشكل مطلق وبدون توضيح وتحديد مضمون هذا الوصف .

ان مفهوم « العدالة » في الحرب الاهلية اللبنانية ، يتضح اذا ما ادركنا الجانب العدائي المتمثل في موقف الفاشيين والمحتلين السوريين الذين يستهدفون اخضاع الطبقات الوطنيه لسلطه الطبقات الرجعيه ويريدون استتباب الامن للاستغلال والاضطهاد واسكات الصوت الوطني اللبناني ـ الفلسطيني المناهض للامبريالية والصهيونيه والرجعية العميله ، وبتعبير موجز انها حرب قذرة غير عادلة لانها ضد الشعب ، اي ضد الـ ٩٦ بالمئة ، لصالح الـ ٤ بالمئة ، وانها حرب عادلة ومشروعة من جانب الجماهير الشعبية وحركتها الوطنية ومقاومتها الفلسطينية ، لانها حرب دفاعية عن الغالبية الساحقة من ابناء الشعب ،

ربايجاز شديد جدا ، ان الحرب هي صراع بين الظالم والمظلوم بين الباطل والحق ، بين العدالة ونقيضها .

ان طابع الحرب الاهليه ، لن يكون ، الا طابعا مزدوجا ومتناقضا ، بحكم كونها صراع بين الطبقات الرجعية والتقدمية .

لقد ادرك الرجعيون ، هذه الحقيقة فيما بعد ، ولذلك راحوا ينفون طابعها الطبقي ، وقد لاحظنا كيف ان الشيخ بيار الجميل ، كان يعترف بكونها حربا اهلية ولكنه تراجع عن اعترافه بهذه الحقيقة ، بعد ان جلب انتباهه الى ذلك ، الامر الذي يدعونا الى التحري عن اسباب تركيز الفاشيين على اعتبار الحرب الناشبة منذ السادس والعشرين من شباط ١٩٧٥ حتى الان ، ليست حربا اهلية ، رغم انهم يعلنون عن رفضهم للشيوعية واليسارية ، اعلانا يكشف عن عمق الازمة الايديولوجية التي يعانونها ، فلو كانت الحرب ليست اهلية لانخرط في صفوفها اشيوعيون الى جانب الرجعيين او على الاقل اوقفوا موقف حياد ، اما وان الحرب بين الشيوعيين اي بين الجماهير وبين الرجعيين مستغلي الجماهير ، فانها اي الحرب، لا بد ان تكون حربا اهلية ، بكل تأكيد . يقول الشيخ الجميل : « ان حقيقة المعركة هي بين الشيوعية واللاشيوعية » . (٨٠)

ان للرجعيين مآرب من وراء تركيزهم على انكار طابع الحرب ، فما هي هذه المآرب ؟

■■ مآرب الفاشيين ودلائل موقفهم

اولا ـ التهرب من مسؤولية اشعال الحرب .

ان الفاشيين يحاولون ان يتهربوا من مسؤولية تفجير الحرب ، لذلك فهم بانكارهم لطابع الحرب الطبقي واظهارها بانها حرب بين اللبنانيين والفلسطينيين ، يلقون تبعات نشوب الحرب وما نجم عنها من ويلات وكوارث واهوال على عاتق المقاومة الفلسطينية ، لكي يظهروا موقفهم على انه موقف دفاع عن النفس والوطن !

ان اعلامهم يتحدث عن هذه المسألة بشكل واضح وبدون ادنى تردد او شعور بالحرج . واخر الوثائق التي تحدثت عن هذا الموضوع ، والتي اهتمت « اللجنة السياسية المنبثقة عن مؤتمر البحوث اللبنانية في الكسليك » بها ، هي الدراسة التي نشرت مقتطفات منها جريدة السفير مؤخرا ، والتي جاء فيها : « ... قد اصبحنا في حالة حرب سافرة مع الفلسطينيين خاصة منذ اجتياح الكفاح المسلح ثم جيش التحرير ولواء اليرموك المدن والقرى اللبنانية واحتلالها وتشريد وتقتيل اهلها ، وقد اصبحت حالة الحرب معلنة رسميا بعدما صرح رئيس الجمهورية اثر اجتماع مجلس الوزراء في تشرين الثاني ١٩٧٥ بأن النزاع هو بين اللبنانيين من جهة والفلسطينيين الذين يساعدهم اليسار المتطرف من جهة ثانية » (٨١) . هذه النتيجة التي توصلت اليها الدراسة هي حصيلة لشرح وتحليل وعرض يزيف الحقائق والوقائع لكي يخرج بهذه النتيجة .

ثانيا ـ طمس ازمة النظام :

انهم يبغون من وراء نفيهم لطابع الحرب الطبقي ، طمس ازمة نظامهم المتفاقمة ، لكي يتهربوا من مواجهة مسألة التغييرات والاصلاحات المطلوب اجرائها كمسألة تعديل الدستور والغاء الطائفية ، وما الى هنالك من مطالب اساسية . ذلك ان الاعتراف بطابع الحرب ، يحتم عليهم ان يقفوا ويعالجوا ازمة نظامهم .

ثالثا ـ الهزء بكفاءة الحركة الوطنية :

ان اعترافهم بكون الحرب اهلية ،يعني اعترافهم بكفاءة الحركة الوطنية وجماهيريتها وقدرتها على حشد الجماهير لخوض الحرب ، لذلك فانهم يتوخون من وراء انكارهم لطابع الحرب ان يقولوا ان الحركة الوطنية اللبنانية ليست بمستوى مجابهتهم في حرب اهلية لولا المقاومة الفلسطينية ، ومع ان هذا القول له نصيب من الصحة ، بيد انه لا ينفي كون الحرب هي تعبير عن تفاقم ازمة النظام واحتدام الصراع الطبقي ـ الوطني ، لان الشعب الفلسطيني بات يشكل جزءا من الشعب اللبناني من حيث كونه موجودا بشكل دائم في لبنان ، وكونه يعيش نفس الظروف الموضوعيه التي يعيشها الشعب اللبناني على مدى ما يقرب من تسعة وعشرين سنة ، انه ، اي الشعب الفلسطيني لا يختلف عن الشعب اللبناني ،بمشاعره الطبقية ان لم يكن شعوره بالاستغلال الطبقي من قبل الرأسمالية اللبنانية اكثر ربما من شعور الشعب اللبناني بحكم التفاوت في الحقوق والضمانات التي تتوفر للعامل اللبناني ولا تتوفر للعامل الفلسطيني الذي يعاني من الفعل التعسفي وحرمانه من الضمان وقلة الاجر اليومي وما الى هنالك من حقوق يتمتع بها اللبنانيون . ومع ان المشاعر الوطنية لدى الشعب الفلسطيني تختلف وان جزئيا من حيث الارتباط بالارض، عن مشاعر الشعب اللبناني ، ولكن العيش الدائم على امتداد فترة طويلة نسبيا من الزمن قد جعل المشاعر الطبقية متوحدة ضد الطبقات الرجعية الحاكمة في لبنان .

رابعا ـ جعل عهد سركيس استمرار لعهد فرنجية :

ان انكار كون الحرب اهلية ، واظهارها على انها حرب قومية بين « الامة اللبنانية » والفلسطينيين ، محاولة رجعية لتعبئة الجماهير المسيحية المشبعة بالافكار الاقليمية التي تتحدث عن « الامة اللبنانية » ذات الخصائص الحضارية التي تميزها عن الامة العربية ، لكي يوفروا جوا جماهيريا يمكن معه وضع سركيس وهو في بداية عهده ، امام واحد من خيارين : اما ان يستقيل وبذلك يجهزون على ما تبقى من الشهابية التي يعتبرونها منافسة لهم ، بحكم كون الاستقالة برهان على الفشل ، واما ان يبقى اسير ارادة اقطاب جبهة الكفور وبذلك يكون عهده استمرارا لعهد فرنجية .

صرح الشيخ الجميل بعد لقاء مع سركيس : « لقد بحثنا مع الرئيس في الطريقة الواجب اتباعها لنخرج هذا البلد من المحنة التي هو فيها . واقول ان المطلوب هو واحد الامن ثم الامن ، لان ثروة لبنان الاساسية هي الامن . وكم من مرة قلت : اعط اللبناني الامن وهو يتكفل بالباقي ... واهم من كل شيء انني لا انصح الرئيس بأن « يكفي » الطريق اذا لم تكن لديه قوة امن وردع لا قوة رمزية . واعتبر بعد ١٨ شهرا ان الوقت حان لنقتنع ونلمس ان هناك فئة ضئيلة جدا لا تتعدى الخمسة في المئة هدفها التخريب . وهذه الفئة لا تردع بالوعظ والارشاد . وعادة لا يخاف من القانون الا من يخالف القانون